د. موس لبنى آمال

جامعة تلمسان

تقديم :

نزل القرآن الكريم بلغة العربية ففهموا معانيه وفهموا أحكامه، وكان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ إذا استعصى عليهم شيء سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلّم روي البخاري عن علقمة عن عبد رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)[1]. شق ذلك على الصحابة وقالوا: أينا لم يظلم نفسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ليس كما تظنون إنّما هو كما قال لقمان لإبنه:" يَا بُنَيَ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ"[2].

إن اِرتباط المصادر الأدبية واللغوية بجمع اللّغة والرواية والتأليف شأن جميع العلوم، ولابد أن تكون هناك مراحل وأطوار من هاته المراحل: الرواية، والجمع،و التدوين و هناك عوامل مساعدة تكّمل غاية وضع العلم يهتمّ بهاأهل اختصاصها.

إن الفكرة الأولية حول معرفة العرب للكتابة اختلف حولها الدارسون فهناك من أجمع على أن العرب عرفوا الكتابة وفريق آخر حدّ من حجم معرفتهم بها.

فالفريق الأول نفى تدوين العرب قبل الإسلام شيئا، وفي هذا الصدد جاء " إسماعيل عمايرة" قائلا: "لم يكن للعرب في فترة ما قبل الإسلام ثقافة مدونة وعلوم مسجلة فقد غلبت عليهم البداوة، واستغرق حياتهم التنقل، ففشت فيهم الأمية، ولم يتركوا خلال

محاضرات في الموسوعات اللغوية

[1] - القرآن الكريم، سورة الأنعام الآية 83.

[2] - القرآن الكريم، سورة لقمان الآية 12.

هذه الحقبة المديدة الغامضة من فجر حياتهم سوى نقوش قليلة تنبئ عما كان لهم من دور حضاري"[1].

أما الفريق الثاني فلم ينف الكتابة في العصر الجاهلي ولكنه حدّ من حجمها وقد جاء " بلاشير" في كتابه " تاريخ الأدب العربي" لاشك في أن بعض الرواة قد دونوا بعض القصائد الهامة، ولكن ذلك يعوزه الدّليل فإن التدوين لم يشمل إلا جزءا من آثار الشعراء الحضريين، أما البقية فقد سارت في الصحراء عن طريق الرواية الشفوية "[2].

إلا أن هناك من أبعد هذا النفي ومن هؤلاء ناصر الدين الأسد الذي قال: "في هذه النصوص والروايات شعر جاهلي، وأخبار جاهلية، مدونة كلها في كتب وأسفار ودواوين من الجاهلية نفسها "[3]. ومن خلال هذا فقد أشار إلى واقعة جمع النعمان بن المنذر ملك الحيرة للشعر العربي في الجاهلية وتدوينه.

وعلى كل حال اتجه العلماء إلى جمع اللغة وقد تعددت مصادرهم فنجد أسماها القرآن الكريم، وفي هذا السياق يقول الراغب الأصفهاني:" ألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب، وزبدته وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحِكمهم، وإليها مفزع حذّاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم."وما عداها وما عدا الألفاظ المتفرعات عنها والمنتقاة منها هو بالإضافة إليها في القشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة وكالحثالة والتبن بالنسبة إلى لبوب الحنطة "[4].

---

1 - ينظر: عز الدّين إسماعيل، المصادر الأدبية واللّغوية في التراث العربي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن ط1- 2003- 1424هـ، ص 14.

2 - ينظر المرجع نفسه، ص 15.

3 - ينظر المرجع نفسه ،ص 15.

4 - ينظر: أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ط 10، ج$_2$ ص255.

فنزول القرآن بالعربية جمع أبناء الجزيرة العربية كانت لا تزال هناك بقايا لهجية تمسك بها بعض أبناء القبائل في بيئاتهم الخاصة ظهر شيء منها في قراءات القرآن المتعددة التي لم تكن إلا تيسيرا على العرب، ليقرأ كل منهم بما اعتاد لسانه، وشيء منها في مخاطبة الرسول ـ صلّى الله عليه و سلّم ـ لوفود العرب، وعمت أصقاعا عديدة، دعت الحاجة إلى جمع اللّغة. ووضع أسسها وقواعدها. انصب اهتمام العلماء على جمع الفصحى وتدوينها لأنها هي التي نزل بها القرآن وكثير من الفصيح المأثور عن العرب، وانصرفوا عن اللّهجات جمعها ودراستها ومن هنا تنوعت أوصافهم لها بالرديئة والمذمومة، والمنكرة، وأيضا لأنهم رأوا في إهمالهم جمعا للكلمة الإسلامية وتوحيد للقبائل العربية، ووأدا للعصبية القبلية فاقتصروا في أخذ اللغة على عدد من القبائل دون غيرها لأنهم حكموا لها بالفصاحة وخلوص اللّغة [1].

فأول شيء أمر به القرآن الكريم فهو الكتابة ممّا يدّل على معرفة عرب الجاهلية للكتابة، فضرورة استخدامها وخاصة في المعاملات التجارية لقوله سبحانه وتعالى: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيُكْتَبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالعَدْلِ)[2].

إذن لقد عرف العرب الكتابة واستخدموها لذا خاطبهم القرآن على ما عرفوه رغم الشواهد الدالة على معرفتهم بقلة التدوين.

ازدهرت حركة التأليف والترجمة في أرجاء الدولة الإسلامية، فكان المصحف الشريف أول كتاب ظهر في لغة العرب وقد اهتم المسلمون الأوائل بتدوين آيات القرآن الكريم وضبطها خشية أن يلحن فيه غير العرب من المسلمين. وكان الأئمة يتكلمون من حفظتهم أو يروون من صحف صحيحة، وغير مرتبة قد يكون فيها وسائل فقهية ونحوية

[1] - ينظر: السيوطي: الاقتراح، تقديم وتصحيح د. أحمد سليم الحمصي، ط$_1$، 1988 جروس برس، ص 44-45.

[2] - القرآن الكريم، سورة البقرة الآية 281.

محاضرات في الموسوعات اللغوية

ولغوية جمعت على غير اتفاق وكانت مجالس العلماء كذلك ومثالها مجلس ابن عباس، فإن معظم مسائل العلم فيها كانت دينية محورها القرآن والحديث، منها يستنبط الفقه ولأجلها يروى الشعر وتبحث قضايا النحو[(1)].

كانت ألفاظ القرآن مادة كبيرة من مواد اللّغة اجتهد العلماء في تحديد معانيها وكانت حافزا لهم على للرّحلة والرواية لتبيين مدلولها كما كانت ألفاظه سببا في جمع كل لفظة ما يتصل بها وتبيان اشتقاقها، وما تفرع من مآربها كذلك كانت مصادرهم ما ورد من الشعر الذي يحتج به من الجاهلي والإسلامي فقد أتى فيه كثير من الغريب فأخذوا يبحثون عن معناه.

أما بعد الإسلام دعت الحاجة إلى الكتابة والتدوين أكثر من الحقب السابقة، وقد خصت الرسائل والمعاهدات والأحلاف، وقد ذكر حلمي خليل " أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمر بكتابة معاهدة عقب هجرته إلى المدينة لتنظيم العلاقات بين المهاجرين والأنصار واليهود، وإلى جانب المعاهدات نجد الرسائل التي بعث بها القبائل، سواء لعقد حلف معهم ضد قريش أو لدعوتهم إلى الإسلام، أو في بعض أمور العقيدة"[(2)].

وفي هذا يضيف حلمي خليل: " أما فيما يتصل بالعلاقات الخارجية فقد بعث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالرسائل والكتب إلى حكام وملوك الدول المجاورة، مثل المقوقس في مصر، والنجاشي في الحبشة، فكان زيد بن ثابت يكتب هذه الرسائل للرسول

محاضرات في الموسوعات اللغوية

[1] - ينظر: سهيل الملاذي، التراث العربي- مجلة فصلية (اتحاد كتاب العرب)، دمشق العدد 109- السنة الثامنة والعشرون آذار 2008 ربيع الآخر 1429، مصادر الثقافة الإسلامية في المكتبات العصر العباسي .

[2] - حلمي خليل، مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، دار النهضة العربية، للطباعة والنشر ط $_1$ 1997 ص 95.

بل يروى أنه كان يترجم للرسول ما يرد إليه من رسائل، ثم بدأ السماع والرواية من ناحية، والكتابة والتدوين من ناحية أخرى يأخذان أبعادا أكثر عمقا وأهمية في حياة المسلمين" [1].

إنّ معرفة عرب الجاهلية للكتابة موجودة وخاصة في حواضر شمال الجزيرة العربية وجنوبها، حيث تتوفر الأحجار والصخور التي استخدموها كوسائل سهلت لهم عملية التدوين فضلا عن عظام الأكتاف الإبل والخشب والأديم، واللحاف والعشب والرقاع. فاقتصر التدوين على مقتضيات الحياة الاجتماعية وغيرها، أما الأدب وفنونه لم تدوّن إلا نادرا. لان الشعر أكثر ما يكون في البادية وهناك القلة التي تعرف القراءة والكتابة. وكان الاعتماد الأساسي على الرواية الشفوية والذاكرة، فمثلا عند مجيء الإسلام كان في مكة سبعة عشرة كاتبا وفي المدينة إحدى عشر كاتبا [2].

إنّ البداية كانت بجمع القرآن وكتابته فلقد نزل القرآن الكريم على رسول الله منجّما على حسب الوقائع ومقتضيات الأحوال في بضع وعشرين سنة، وكان عليه الصلاة والسّلام يأمر كتّاب وحيّه بكتابة ما ينزل. لقد دون بعض الصحابة القرآن إما من ذات أنفسهم أو بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم. وقد اجتمع كل الرواة على عدد منهم وقد ذكرهم مصطفى صادق الرافعي: فمنهم، علي بن أبي طالب، معاذ بن جبل، زيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود.[3] فهذه المصاحف الثلاثة اختصت بالثقة. فكل واحد من هؤلاء الصحابة عرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم بمكان مغاير عن الآخر، وفي زمن مختلف عن القراءة الأولى.

---

1 - ينظر: المرجع نفسه ص95.

2 - ينظر: عبد اللطيف الصوفي، اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية، دمشق، دار طلاس، 1986 ص17-18.

3 - مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط $_1$ 1421هـ، 2000م ج $_2$ ص28.

ويعدّ زيدٌ أكثرهم كتابة لكثرة ملازمته للرسول صلّى الله عليه وسلم وقد دوّن القرآن بهاته الطريقة على عهد الدعوة الإسلامية، ولم تمس الحاجة إلى تدوينه مجتمعا إلا فيما بعد وفاة رسول الله وظهور حرب الرّدة[1].

فاحتلت الكتابة والتدوين مكا نة لم تعهدها من قبل في عهد خلافة أبي بكر الصدّيق ولكن ذلك لم يكن إلا من هول حروب الرّدة والخشية على القرآن. وخاصة بعد وفاة سبعمائة يحفظون القرآن وقد ذكر حلمي خليل " أن ذلك الجدل الذي وقع بين عمر بن الخطاب وأبي بكر الصديق، فأوجس عمر بن الخطاب من أن يتبدد يوم فيه القرآن لسبب كهذا أو لغيره من الأسباب فهرع إلى أبي بكر، وأشار عليه بتدوين القرآن مجتمعا، لكن أبا بكر لم يكن ليصنع شيئا لم يصنعه رسول الله. فقال لعمر:"كيف أفعل أمراً لم يفعله رسول الله ولم يعهد إلينا فيه عهداً" [2]، لكن عمر أدرك الحل فكان لابد من إقناعه حتى تمّ ذلك وأوكل المهمة إلى زيد بن ثابت.

دوّن زيد القرآن وجمعه في مصحف ليقدمه إلى أبي بكر فتمسك به إلى غاية وفاته، لينتقل ويحتفظ به الخليفة عمر بن الخطاب لمدة عشر سنين، لتحتفظ به أيضا ابنته حفصة، فكان الجمع الأول للقرآن الكريم، توسعت الأقطار الإسلامية، وكثرة الفتوحات فوجدت لدى بعض القراء نسخ للقرآن الكريم، فاختلفوا في ترتيبها، فوجد الاختلاف في قراءة القرآن وأدائه، فكان أهل الكوفة يأخذون عن ابن مسعود، وأهل البصرة عن أبي موسى الأشعري، وفي دمشق وحمص أخذ الناس عن المقداد بن الأسود وهكذا ولم يخل

محاضرات في الموسوعات العربية

---

[1] - المرجع نفسه، ص 28.

[2] - ينظر: عز الدّين إسماعيل، المصادر الأدبية واللّغوية في التراث العربي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط $_1$ 2003، ص16.

الأمر من الاختلاف بين هؤلاء في قراءة بعض الآيات، وربما التقوا فقال الواحد منهم للآخر:" قراءتي خير من قراءتك"[1] .

ولذلك الأمر جاء حذيفة بن اليمان مسرعا إلى الخليفة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ وقد أدرك حقا الخطر الداهم فقال له:" أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى"[2] .

ولذلك السبب بعث عثمان إلى حفصة أن "أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك" فأرسلتها، فدعا عثمان زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص، وعبد الرحمان بن الحارث بن هشام وأمرهم أن ينسخوا القرآن ويستعينوا على القراءة بما حفظه القراء، وقال لهم: " إذ اختلفتم وزيد بن ثابت في شيء فاكتبوه بلسان قريش فإنما انزل بلسانهم ففعلوا" وكتبوا أربعة مصاحف بعثها عثمان إلى الأمصار الأربعة، واثنين أبقاهما في المدينة واحد لأهلها، وواحد لنفسه ثم أمر بجمع ما كان من قبل ذلك من صحف ومصاحف[3] .

كان القصد من عملية التدوين الأولى حفظ القرآن الكريم من الضياع، بينما كان القصد من عملية التدوين الثانية ترتيبه وجمع الناس على كلمة سواء.

كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أفصح النّاس وأحكمهم وأشدهم بلاغة، وعدّت أفعاله وأقواله مدد لإرشادهم، فحرص جميع الناس على ذلك الأثر العظيم، فكان كلامه ما هو إلا لهدف واحد ألا وهو تفسير القرآن وما غمض منه.

محاضرات في الموسوعات اللغوية

---

1 - ينظر: المرجع نفسه، ص 17.

2 - ينظر: المرجع نفسه، ص 17.

3 - جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية المجلد الأول، منشورات دار مكتبة ، دار الحياة بيروت.

جاءت مرحلة كتابة الحديث النبوي الشريف وكان بعض الصحابة والتابعين يستعينون بالكتابة على الحفظ والرواية، "بل يقال إن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ رخّص لنفر من الصحابة في كتابة الحديث، غير أن أهل السماع والرواية ظلا مسيطرين على نقله وروايته طوال القرن الأول حتّى تولى عمر بن العزيز خلافة المسلمين (ت 101هـ) فأمر بتدوينه[1].

فالحديث هو المصدر الثاني للتشريع الإسلامي وبوفاة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنتشر الصحابة في البلاد المفتوحة أخذوا يروون كتاب الله وسنة رسوله أينما ذهبوا وقد جاء حلمي خليل في كتابه مقدمة لدراسة التراث المعجمي قائلا:" لقد اشتهرت جماعة بكثرة الرواية مثل أبي هريرة وعبد الله بن عمر، وابن عباس، وأنس بن مالك، وبذلك بدأ الحديث ينتقل من جيل إلى آخر، وتعددت طرق الحمل والرواية من خلال مصطلحات ومفاهيم تحولت بعد ذلك إلى علم " مصطلح الحديث" الذي يتناول فيه العلماء دراسة السند والمتن معاً وفق أصول ومعايير ولعلّ أول مدّونة للحديث النبوي الشريف لكلمة تدوين بمعناه الدقيق كانت لابن شهاب الزهري (ت 124هـ) [2]، إلا أنه بعد ذلك أخذ التصنيف والتأليف في المصدر الثاني للتشريع الإسلامي يكثر ويتسع.

ولا يمكننا الحديث عن جمع المادة المعجمية بعيدا عن جمع المادة اللغوية فالسبب الأول هو العناية بتلك الهالة القدسية والمحافظة على القرآن الكريم وتفهم معانيه وما ترمي إليه من دقيق الدلالة والمغزى وصحيح المبنى والمعنى[3].

محاضرات في الموسوعات اللغوية

1 - حلمي خليل، مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، ص 95.

2 - ينظر: المرجع السابق، ص 98.

3 - المرجع نفسه، ص 98.

فهدفهم كان ظاهرا وواضحا ألا وهو جمع الكلمات الغريبة، الغامضة ليحدد معناها. ولما طال مكث الأعراب في الحضر لانت جلودهم وطاعت ألسنتهم بشوائب العجمة، لهذا يقول الجاحظ:"كان بين زيد بن كثرة يوم قدم علينا البصرة وبينه يوم مات بون بعيد على أنه كان موضع الفصاحة وأول موضع العجمة "(1). فلما ضعفت ثقة العلماء بالأعراب رحل العلماء والرواة إلى البادية بمدادهم وصحفهم ليسمعوا من أولئك الذين لم تتأثر ألسنتهم.

ومن بين هؤلاء نجد الكسائي الذي خرج إلى البادية: " ورجع وقد أنفذ خمسة عشرة قنينة حبرا في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ(2).

وهكذا تواصل الرواة في رحلهم إلى البادية وحرص العلماء على مشافهة الأعراب حتّى وجدنا في أواخر القرن الرابع من يروي عن الأعراب كالأزهري (ت 370 هـ) ، وابن جني(392ه) والجوهري وابن فارس.

ثم توقف هذا التواصل مع نهاية هذا القرن حتّى أصبحت الرواية عن الأعراب أنفسهم يشوبها شيء من الحذر، يقول ابن جني:" أنا لا نكاد نرى بدويا فصيحا وإن نحن أنسنا منه فصاحة في كلامه لم نكد نعدم ما يفسر ذلك ويقدح فيه وينال ويغض منه "(3).

بانقضاء زمن الخلفاء اعتبرت المصاحف المرشد للناس في أمر دينهم ودنياهم. فكان المرجع الأول مع سنة نبيه خاصة إذا اشتبه عليهم أمر من أمور الدّنيا.

محاضرات في الموسوعات اللغوية

[1] - ينظر: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي الأزهري المصري، جواهر الأدب، في أدبيات وإنشاء لغة العرب، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ص 285.

[2] - ينظر: المرجع نفسه ص 311 - 312.

[3] - ينظر: المرجع السابق، ص34.

أما زمن بني أمية هو بداية الاختلاط الفعلي للعرب مع أمم أخرى لتبدأ ظاهرة الفساد لملكة اللّسان العربي وفشو اللّحن، فبدأ الخوف على القرآن الكريم من تسرب أي زلل أو تحريف كما أشفقوا على اللغة من الفساد دونوا النحو وكان أوّل من كتب فيه أبو الأسود الدؤلي وقد تلقى مباده عن الإمام علي ـ كرّم الله وجهه ـ ، وأخذ عنه فتيان البصرة وخصوصا الموالي إذ كانت حاجة الناس إلى النحو،وانقضى هذا العصر ولم يدون فيه من علوم اللغة والدّين غير النحو وبعض الحديث وبعض التفسير[1] .

أما الخلفاء العباسيون فقد ظهرت عندهم تلك الحاجة الماسة إلى التدوين وذلك لاتساع بقاع الإسلام، فهبّ العلماء إلى تهذيب ما كتب في الصحف المتفرقة وما حفظوه في الصدور، ورتبوه وبوبوه وصنفوه كتبا وهذا من أقوى الأسباب لإقبال العلماء على التصنيف، فحث الخليفة أبي جعفر المنصور عليه وحمله الأئمة والفقهاء على جمع الحديث والفقه، ولم يقتصر على معاضدة العلوم الإسلامية . وكانت كتابة التصنيف والتدوين في القرن الأول وبعض الثاني من النهضة عبارة عن سلسلة من الروايات المسندة إلى رواتها. وبعضها يروى بلفظ أصحابها غالبا كما في الشعر والخطب والرسائل، وبعضها بلفظ الراوي كما في أخبار الفتوح والتاريخ والقصص[2] .

كانت حركة جمع اللغة العربية وتدوينها في بداية عهدها حركة عفوية تفتقر إلى قدر كبير من التنظيم والشمول، وهو أمر طبيعي، إذ كان قصد منها تدوين الألفاظ وجمع المتناثر منها . ومع مطلع القرن الثالث الهجري نجد أنفسنا أمام العصر الذهبي للحديث النبوي جمعاً وتدويناً وحفظًا وضبطا، ففي هذا القرن نضج علم الحديث وتم تكوينه

[1] - ينظر: بن ابراهيم بن مصطفى الهاشمي الأزهري المصري، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب دار الكتب العلمية بيروت لبنان ص 285.

[2] - ينظر: المرجع نفسه ص 311-312.

محاضرات في الموسوعات اللغوية

واستقل عن الفقه، وقد سلك علماء الحديث في جمعه وتدوينه خلال القرنيين الثالث والرابع الهجريين طرقا مختلفة ومتنوعة[1]. ولكن في حديثنا عن جمع اللغة لابد لنا أن نعرف أن ثمة مثل هذا الأمر أنه لم تجمع دفعة واحدة بل اتخذ أشكالا مختلفة قسمها بعضهم إلى ثلاث مراحل:

أ. **المرحلة الأولى:** بدأت هاته المرحلة منذ أواخر القرن الأول الهجري واستمرت قرابة عام، حتّى أواخر القرن الثاني للهجرة وهي فترة جمع الأحاديث الشريفة والشعر والأدب، وأخذت الألفاظ العربية من أفواه عرب الصحراء أو الوافدين على الأمصار. وقد جمعت الكلمات كيفما اتفق فالعالم يرحل إلى البادية فيدّون كل ما سمع من غير ترتيب ولا تنظيم فيجمع كلمة في المطر وكلمة في النبات، وكلمة في الخيل ونحو ذلك خوفا على العربية من الغريب الدخيل، دون ان يتصرّف فيها لا معنى و لا مبنى.

اشتملت المرحلة الأولى تدوين كل من المصدر الأول والثاني بصورة عفوية تلقائية.

ب.المرحلة الثانية: يؤكد أحمد أمين أنه " خلال هذه المرحلة فقد تمّ تدوين الألفاظ في رسائل صغيرة متفرقة عرفت قدرا كبيرا من التنظيم"[2].

ومن هنا جمعت الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد،" وقد توجت هذه المرحلة بظهور الرّسائل اللّغوية التي عرفت بأسماء، المطر، الإبل..."[3].

محاضرات في الموسوعات اللغوية

1 - ينظر: المرجع السابق، ص34

2 - ينظر: عبد اللطيف الصوفي، اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية، ص36 - 37.

3 - ينظر: أحمد أمين، ضحى الإسلام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1357هـ، ط1، ص 263.

ج. **المرحلة الثالثة:** تعد المرحلة الأخيرة بعد أن وصلت إلى نضج فعلي في الكتابة والجمع والتدوين. فوضعت معاجم اعتمد أصحابها المرحلتين الأولى والثانية وأضافوا إليها بجهودهم المتضافرة قدرا أكبر من السعة والشمول، والتقصي والتنظيم وبذلك أخرجوا معجمات لغوية عامة، وتعد أطول المراحل الثلاث جميعها وأكثرها عطاءا حيث خطت حركة التأليف وبخاصة المعجمات خطوتها الأخيرة في طريق نموها الطبيعي[(1)].

فوضعت معاجم ذات نمط وترتيب خاص باللّغوي، ويعد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ) رائد هذا النظام والفاتح لأعظم عمل لغوي لتظهر بعده معاجم لغوية أخرى: من أبرزها:

الجمهرة لابن دريد (ت 321هـ)، والبارع للقالي(ت 356هـ)، وتهذيب اللغة للأزهري (ت 370هـ). والمحيط للصاحب بن عباد (ت 385هـ)، ومقاييس اللغة والمجمل لابن فارس (ت 395هـ)، والصحاح للجوهري (ت400هـ) والمحكم لابن سيدة (ت 458هـ)، وأساس البلاغة للزمخشري(ت 538هـ)، والعباب للصاغاني(ت 650هـ)، ولسان العرب لابن منظور (ت 371هـ) والقاموس المحيط للفيروز أبادي(ت 817هـ)، وتاج العروس للزبيدي (ت 1205هـ).

شروط المادة المعجمية:

حدد المعجميون شروطا و ضوابط في جمع مادتهم اللغوية وجب الالتزام بها منها :

1- **شرط المكان:** وبمقتضاه تمّ تحديد مواطن الفصاحة في وسط الجزيرة العربية دون بقية الأطراف وذلك لاتصالهم بالأمم الأخرى، وفي بواديها دون الحواضر التي كانت تعج بحركة الوافدين عليها من خارج الجزيرة أو من أطرافها قصد التجارة.

[1] - ينظر: محمد بن سعيد الثبيتي، معالجة المادة المعجمية في المعاجم اللفظية القديمة، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها مجلة 13 العدد 22 ربيع الأول، ص8.

محاضرات في الموسوعات اللغوية

2- شرط الزمان: وهو الفيصل الذي تمّ بمقتضاه تحديد الفصاحة عند منتصف القرن الثاني الهجري بالنسبة للاحتجاج باللغة الأدبية وخاصة لغة الشعر، ونهاية القرن الرابع الهجري بالنسبة للاحتجاج باللغة الشفوية المنقولة عن الأعراب.

3- شرط الفصاحة: وهو الشرط الذي تمّ بمقتضاه الحكم على فصاحة اللفظ إذا ثبتت نسبته إلى عربي قُح سواءً بالمشافهة أو الرواية الصحيحة وذلك العربي القح هو ما انطبق عليه شرط الزمان والمكان السابقين [1]. وعلى ضوء هذه المعايير عدّ كل من خالف ذلك مولدًا، فقسم الشعر إلى طبقات والقبائل إلى درجات، أعلاها قبيلة قريش: وفي هذا المقام يقول ابن فارس: "أجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم، أنّ قريشا أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة،... وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها وَرِقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى حائزهم وسلائقهم فصاروا بذلك أفصح العرب. ألا ترى أنك لا تجد في كلامهم عنعنة تميم ولا عجرفية قيس ولا كشكشة أسد ولا كسكسة ربيعة [2].

وفي هذا المضمون يذهب الفارابي إلى ان قريشا كانت " أجود العرب انتقادا للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعا وأبينها إبانة عما في النفس " [3].

محاضرات في الموسوعات اللغوية

1 - ينظر: محمد بن سعيد الثبيتي، معالجة المادة المعجمية في المعاجم اللفظية القديمة. مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها المجلد 13 العدد 22 ربيع الأول 1422 ص 8.

2 - ينظر: ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق السيد مصطفى الشويمي، القاهرة، منشورات مؤسسة بدران، ط$_1$، 1963، ص33.

3 - ينظر: السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها شرح وضبط محمد أبو الفضل دار الفكر ج$_1$ /ص211.